

وقال القرطبي أيضا عندما ينقل آراء العلماء: (هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة، يريد: خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته، واحتج هؤلاء بقوله تعالدي: (الحمد لله فاطر السموات والأرض) يعني: خالقهن، ويقول تعالدي: (ومالي لا أعبد الذي فطرني) يعني: خلقتني، ويقول تعالدي: (الذي فطرهن) يعني خلقهن، فقالوا: الفطرة: الخلقة، والفاطر: الخالق، وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار. قالوا: وإنما المولد على إسلامه في الأغلب خلقة وطبعاً وبنية ليس معها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة، ثم يعتقدون الكفر والإيمان بعد البلوغ إذا ميزوا...)(1).

وقال بعض المفسرين: (ليس المراد بقوله تعالدي: (فطر الناس عليها) وقوله - صلى الله عليه وآله -: (كل مولود يولد على الفطرة) العموم، بل المراد بالناس: المؤمنون، إذ لو فطر الجميع على الإسلام لما كفر أحد، وقد ثبت أنه خلق أقواماً للنار...)(2).

وعلى هذا، فكيف يكفر الناس بالخالق الرحيم رغم أنه فطرهم على ما فيه سعادتهم وخيرهم، وهو: التوحيد؟

وعند الرجوع إلى شروح الأحاديث يتبين: أن معظم العلماء يميلون إلى أن المراد بالفطرة هنا: الإسلام، أو التوحيد وعدم الشرك. وعلى هذا الأساس يكون الإسلام الذي فسرت به (الفطرة) إنما هو: التوحيد الفطري الغريزي الذي ابتدأ الله به الخلق، وليس المقصود به كل تعاليم الإسلام التي فهمها بعضهم وأورد على أساسها اعتراضاته، ولكن مما يقطع به إنما هو: الفطرة - الإسلام - كما تحدثت به الآية الكريمة (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا...)(3).

1 - تفسير القرطبي 14: 25.

2 - مجلة المقتطف، نقلا عن التفسير الكبير للفخر الرازي، وتفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.

3 - الأعراف: 172 - 173.

